العرب
السبت 2021/03/13
السنة 43 العدد 11998

السينما المستقلة تواصل النجاح بالصبر

المنصات تفتح آفاقا جديدة للترويج للأفلام العربية عالميا

الفيلم السوداني «ستموت في العشرين» رهان على الفكرة وليس المال

تُثبت السينما المستقلة أن جودة المنتج الفني لا تتطلب تدمير مدن بأكملها ولا قفزات من السيارات المسرعة ولا الحاجة إلى نجوم كبار أو ديكورات ضخمة، لكن فقط هي الفكرة الجريئة والمشاعر الجياشة التي تشقّ طريقها في صمت إلى عقول المتلقين ونفوسهم.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

نجحت السينما غير التجارية في الوصول إلى منصات التكريم، وحصد جوائز في مهرجانات عالمية، وحفظ ماء وجه منتجي الأفلام بالمنطقة العربية، التي تنقّب بإبرة كل عام عن أعمال متكاملة تصلح للمشاركة في المهرجانات الدولية، وفي مقدّمتها الأوسكار، ويظل اختيارهم محصورا في فلك الأقل رداءة.

ويظهر تتبّع سجّل الجوائز الأخيرة للسينما العربية التنامي الملحوظ للإنتاج غير التجاري، وتطوّر جودة أفكار الواقفين خلفه، رغم الظروف الإنتاجية الصعبة، مثل الفيلم السوداني "ستموت في العشرين"، والتونسي "الرجل الذي باع ظهره"، والأردني "ذيب"، وحصلت جميعها على عدد ضخم من الجوائز، وتنويهات في العديد من المحافل الدولية.

ويعيد فيلم "حمام سخن (ساخن)" للمخرجة منال خالد السينما المصرية للمشاركة بمهرجان "ساوث باي ساوث ويست" الأميركي منتصف مارس الحالي للمرة الأولى منذ عقد كامل، ليكمل سلسلة أعمال ناجحة مثل "عاش يا كابتن" و"ستاشر"، حيث استطاعا نيل سلسلة من الجوائز في مهرجانات عالمية مرموقة.

القطع مع النمطية

تتبنّى الأعمال المستقلة نظرة مغايرة للأحداث تركّز على تأثيراتها الإنسانية حتى لو تناولت أعمالا سياسية مثل أحداث ثورة 25 يناير 2011 بمصر، فتبتعد عن الرؤية التقليدية بتتبّع المظاهرات في الشوارع والمطالب ومخاض الانتقال السياسي، لتسرد قصص سيدات محاصرات بسبب ساعات حظر التجوال أو غياب الأمن من الشوارع، وتفاصيل الساعات التي يقضيها البشر حينما يفقدون حرية الحركة بأمان.

وتتّخذ السينما المستقلة من الصبر وروح الشباب الذين يقفون وراء كاميرات التصوير السُلم الأساسي للوصول إلى منصات التتويج، فبعضها يتوقّف تصويره عدة أعوام بسبب عدم القدرة على تغطية النفقات ويضطرّ المشاركون فيه للتنازل عن أجورهم، والتطوّع من أجل ظهور مشاريعهم الفنية إلى النور. ولا تبحث السينما المستقلة عن أماكن التصوير الجمالية أو وضعية التحف في القصور الرحبة، فتركيز القائمين عليها مُنصب على كيفية التقاط الصورة الثرية بتفاصيلها لتعبّر عن تداعيات الزمن على الجدران والوجوه، وترتكن إلى توزيعات الضوء المعتمدة على الطبيعة، لإبراز المشاعر الوجدانية لأبطالها غير المعروفين، مع قدر كبير من الجمل الحوارية العميقة التي تشبه الحكم والأمثال الباقية التي تعطي ثراء للمضمون يعزّز موقعها على مستوى السيناريو، حال مقارنتها بغالبية الأعمال التجارية.

تمثل السينما غير التجارية للمخرجين الشباب مغامرات إنتاجية مُستحبة يعملون فيها دون ضغوط أو إملاءات، ويبعدهم تمويلها الذاتي في الغالب عن حسابات شباك التذاكر في دور السينما، ويجعلهم بمنأى عن ضغوط المنتجين الكبار الساعين لتعويض المبالغ التي تكبّدوها بتضمين العمل بمجموعة من البهارات التي يمكن أن تجذب الجماهير للمشاهدة تحت شعار "المشاهد يريد كده (ذلك)".

وأكّد المخرج محمد سعدون، مدير مهرجان الإسكندرية للأفلام القصيرة، أن عملية إنتاج الفيلم غير التجاري تغيّرت كثيرا فلم يعد منخفض التكاليف، ويحتاج إلى تلبية درجات من الجودة في الصوت والصورة حتى يمكنه المنافسة عالميا، وكلها أعباء مالية تجبر أصحابها على تأجيلها أكثر من مرة.

وتظلّ التكاليف الإنتاجية العائق الأول أمام غالبية مشروعات السينما المستقلة، ما يتطلب تدخلا حكوميا، فالوصول بالفيلم إلى مستوى يليق بالتمثيل في المحافل الدولية تصل إلى 250 ألف جنيه (16 ألف دولار) للعمل القصير الذي لا تتجاوز مدته 15 دقيقة، وهو مبلغ يفتقره مخرجون في بداية حياتهم الفنية.

قدرات خاصة

وأفاد محمد سعدون لـ"العرب"، بأن الأفلام غير التجارية تحتاج قدرات خاصة في الكتابة يفتقرها الكثير من العاملين في الأعمال التجارية بالتلخيص والإيجاز الشديد دون الجور على الفكرة، وأشار إلى أنه فلا مجال للتعريف الطويل بالشخصيات أو التمهيد للموضوع أو شرح ملابساته، فجميع مراحل الفيلم من البداية والعقدة وحتى النهاية قد لا يتجاوز العشر دقائق.

وتلعب السينما المستقلة على المشاعر في المقام الأول، فتتطرّق إلى فئات عمرية مختلفة تماما عن السائد، لترصد معالم الحب في سن الستين، أو الصراع في رأس شخص يرغب في العودة إلى حبيبته بعد انقطاع العلاقة، لكن تظل القدرة على التنفيذ سرّ النجاح.

وأوضح سعدون أن النجاح ليس في الفكرة المختلفة فقط، لكن في زاوية التطرّق إليها وطريقة عرضها أيضا، بعدما أصبح لتلك النوعية من الأعمال جمهور يُتابعها في المهرجانات المتخصّصة والمراكز الثقافية العامة، وهو في تزايد على المستويين الكمي والنوعي، ويعرف المُشاهدون طبيعة تلك الأعمال ويقيّمونها وفقا لعناصر إنتاجها.

وتمتاز السينما المستقلة بمساحات كبيرة من الجرأة في الأفكار التي يتم اختيارها وتنفيذها على عكس الأفلام التجارية التي تتعرّض فيها الفكرة أحيانا لإملاءات من المنتجين وكبار الفنانين الذين يتدخلون بتعديلات على نص السيناريو، قد تضيع معها غاية القصة لزيادة مساحة الدور.

وأشارت مخرجة فيلم "عاش يا كابتن" مي زايد، لـ"العرب"، إلى أن الميزة الأساسية في السينما المستقلة هي اقتناع المخرج بالعمل وسعيه لإنهائه مهما كانت العقبات باعتباره مشروعا خاصا، فتلك النوعية من الأعمال غالبا ما يكون مخرجها هو المؤلف، وكان ذلك من دوافع استمرار العمل طوال ست سنوات كاملة على فيلمها الذي شهد توقفا في أكثر من مناسبة لضعف القدرات الإنتاجية.

وسعت زايد في عملها إلى تغيير الصورة النمطية عن المرأة في مجال البطولات الرياضية كتابع للرجال، واختارت زاوية فريدة بتتبّع قصص فتيات يحملن الأثقال ويتدرّبن في الشارع، ويبذلن جهدا لوصولهن إلى المنافسة في البطولات الإقليمية والعالمية، وابتعدت عن الطريقة المعتادة في السينما التجارية التي تركّز على كرة القدم فقط بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء.

وأسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في فتح آفاق جديدة للترويج لأعمال السينما المستقلة، ليرتبط الجمهور به للمرة الأولى رغم تزايد تجارب إنتاجه منذ 12 عاما حينما انتشرت تقنية التصوير الرقمي محليا، والتي فتحت الباب أمام الشباب وشيوخ المهنة على خوض تجربة الإنتاج المستقل.

وأمام النجاحات الكبيرة التي تسجلها السينما المستقلة دخلت على خط إنتاجها في السنوات الأخيرة شركات إنتاجية متخصّصة في دعم مشروعات الشباب، خاصة الأعمال الروائية الطويلة على أن يتم مشاركتهم المكاسب المالية التي يحصلون عليها في المهرجانات العالمية.

محمود حميدة بات متطوّعا للتمثيل في الأعمال السينمائية غير التجارية كنوع من الدعم المعنوي لأصحابها

ويحاول المنتجون الجدد تحقيق الربح عبر حصيلة جوائز المهرجانات، لكنهم في الوقت ذاته يملكون حسا فنيا تحكمه المصلحة، فلا يتدخّلون في القصة ويسهمون بعلاقاتهم في جذب بعض الأسماء الفنية الكبيرة للمشاركة في الأعمال بما يمنحها زخما دعائيا، مثل الفنان المصري محمود حميدة الذي بات متطوّعا حاليا للتمثيل في تلك الأعمال كنوع من الدعم المعنوي.

ويمثل فيلم "ستاشر" للمخرج سامح علاء قمة الإنجاز الذي وصلت إليه السينما المستقلة بمصر بحصوله على جائزة السعفة الذهبية في مهرجان "كان" السينمائي الدولي، وجائزتي أفضل فيلم من مهرجاني موسكو بروسيا، ونامور ببلجيكا، وهو ما يعتبره مخرجو السينما المستقلة في مصر دافعا للمزيد من الجهد لتحقيق حلم اقتناص المزيد من جوائز المهرجانات الأشهر عالميا.

ويظل الزخم الذي تحقّقه السينما المستقلة مرتبطا بامتلاكها التفرّد في التناول، والرهان على الأداء التمثيلي، والتركيز على الصور الحبلى بالتفاصيل، فإن تخلت عنها واجهت مشكلات السينما التجارية التي جعلت هدفها الربح فقط.

الوثائقي المصري «عاش يا كابتن» ينتصر لبطلات رفع الأثقال

متحف الأوسكار: معروضات تعكس العنصرية وضعف تمثيل الأقليات

لوس أنجلس – من المتوقع أن يتضمن المتحف المنتظر لجوائز الأوسكار في لوس أنجلس معروضات تعكس "التاريخ الإشكالي" للإنتاج السينمائي بهوليوود، من العنصرية التي شابت فيلم "ذهب مع الريح" إلى الجدل الأخير في شأن ضعف تمثيل النساء والأقليات.

واستلزمت ترجمة فكرة هذا المتحف المخصّص للفن السابع نحو قرن، وكان من المفترض أن يكون عام 2017 موعد افتتاح المبنى الذي صمّمه المهندس المعماري الإيطالي رينزو بيانو. لكنه تأخّر أكثر من مرة، وزاد انتشار فايروس كورونا المستجد في السنة الماضية من تأخير موعد افتتاحه. ومع ذلك باتت المباني جاهزة، وحدّدت إدارة المتحف شهر سبتمبر 2021 موعدا لافتتاحه.

وتولّت الممثلة لورا ديرن التي حصلت على جائزة أوسكار لأفضل ممثلة في دور ثانوي العام الماضي مرافقة الصحافيين خلال جولة افتراضية نظمت لهم، أخيرا، في المتحف الواقع في غرب لوس أنجلس.

وقالت الممثلة "لن نتظاهر بتجاهل القصة الإشكالية"، في إشارة إلى وسم "أوسكارز سو وايت" المتعلق بالنقص في تمثيل الفنانين السود، وضعف حضور النساء، والطريقة التي تعامل بها منظمو الأوسكار مع الممثلة السوداء هاتي ماكدانيال عام 1940.

ولم تتمكن ماكدانيال التي كانت أول فنانة سوداء تحصل على جائزة الأوسكار عن دورها في فيلم "ذهب مع الريح" من حضور العرض الأول للفيلم بسبب لون بشرتها. وخلال احتفال توزيع جوائز الأوسكار، لم تتمكّن من دخول فندق "أمباسادور" الذي كان يمارس الفصل العنصري إلا بعد تدخل المنتجين، وكان عليها الجلوس على طاولة منفصلة بعيدا من الممثلين الآخرين في الفيلم.

وفيلم "ذهب مع الريح" أُنتج في العام 1939 عن رواية مارغريت ميتشل بالعنوان ذاته، وهو من بطولة كلارك غيبل وفيفيان لي، وفاز بثماني جوائز أوسكار، كما اختاره معهد الفيلم الأميركي ليكون الرابع في قائمة الأفلام المئة الأميركية الأفضل في القرن العشرين، وحتى عام 2006 أصبح الفيلم ثاني أعلى الأفلام إيرادا في تاريخ السينما الأميركية.

وكذلك سيتناول متحف الأوسكار المضايقات التي تعرّضت لها الممثلة المنتمية إلى السكان الأصليين للولايات المتحدة ساشين ليتلفيذر، التي حضرت بدلا من مارلون براندو عندما رفض جائزة الأوسكار عام 1973 للتنديد بمعاملة السلطات الأميركية السكان الأصليين. وتتطرّق معروضات المتحف حتى إلى مسألة تولي ممثلات أوروبيات تادية شخصيات صينية في فيلم "الأرض الطيبة" عام 1937.

وقال مدير المتحف بيل كرامر "لم نشأ محو الأفلام والفنانين واللحظات التي قد تكون محرجة. أردنا أن نواجهها ونضعها في السياق الذي حصلت فيه من خلال معرضنا الدائم".

وسيضم الموقع الذي تقرب مساحته من 28 ألف متر مربع، بينها مساحات عرض تبلغ 4500 متر مربع، مجموعة من الآثار الهوليوودية التي استخدمت في الأفلام، بينها على سبيل المثال لا الحصر، حذاء جودي غارلاند الأحمر الشهير في "ساحر أوز" ورداء دراكولا الذي ارتدته بيلا لوغوسي في الفيلم العائد إلى العام 1931.

وفي المتحف أيضا صالة سينما تتّسع لألف مقعد وتقع داخل كرة عملاقة من الزجاج والفولاذ والخرسانة أقيمت على جانب المتحف.

وسيكون سبايك لي وبيدرو ألمودوفار من بين المخرجين الأوَل، الذين طلب منهم المتحف تنظيم معارض مؤقتة مخصّصة للمخرجين الآخرين.

وقال لي "أريد أن أرى حافلات مدرسية صفراء مركونة في صفين أمام المتحف، وأتمنى أن تتعرّف هذه العقول الشابة والجميلة إلى السينما".

وفي الجناح المخصّص لتاريخ جوائز الأوسكار، سيُعرض 20 تمثالا صغيرا هي جوائز الأوسكار التي نالتها أفضل الكلاسيكيات الصامتة مثل "شروق الشمس" (1927) لفريدريك ويلهلم مورناو أو لأفلام حديثة كـ"ضوء القمر" (2016) لباري جينكينز.

وستخصّص صالات عرض أخرى لإبراز دور جميع الجنود المجهولين الذين يساهمون من وراء الكاميرا في بث سحر السينما، ومنهم خبراء التحريك ومصففو الشعر وفنانو الماكياج، وسواهم.

سبايك لي
أتمنى أن تتعزف العقول الشابة والجميلة إلى السينما من بوابة المتحف

ويسلّط أحد الأقسام الضوء على الأزياء الشهيرة، كذاك المستوحى من أفريقيا الذي ارتدته الممثلة دانايا غوريرا في الفيلم الشهير "النمر الأسود" (2018).

وعلقت الممثلة قائلة "إن وجود زي أوكوي (وهي الشخصية التي تؤديها) في متحف الأكاديمية أمر قويّ جدا، لأن تاريخ هوليوود لا يشبه فريق النمر الأسود".

ويحضر في قسم آخر من المتحف مجسم القرش "بروس" الذي روّع السابحين في فيلم "جوز- الفك المفترس" قبل نحو نصف قرن.

والمجسم البالغ طوله ثمانية أمتار ويزن أكثر من نصف طن والمصنوع من الألياف الزجاجية هو آخر نسخة أعدّت للوحش البحري لتصوير الفيلم الشهير العائد إلى العام 1975، ويتجاوز عرض فكيه مترا ونصف المتر. وقد تم إدخاله المتحف من النافذة باستخدام رافعة بعدما تعذّر تمريره عبر أبواب المصعد.

وأكّد كرامر أن متحف الأوسكار لن يفتح قبل أن يسمح الوضع الصحي المرتبط بالوباء بذلك، لكنه شدّد على أن كل شيء بات جاهزا لاستقبال الجمهور.

وأبدى كرامر ثقته بأن الافتتاح في الموعد المحدد وهو 30 سبتمبر سيكون ممكنا، نظرا للتقدّم في حملات التلقيح ضد فايروس كورونا في كاليفورنيا وانخفاض عدد الإصابات.

ومن الآن وحتى موعد افتتاحه، سينظم المتحف عددا من الأنشطة الافتراضية، منها نقاش يضم فنانات طبعن تاريخ الأوسكار، كصوفيا لورين ووبي غولدبرغ ومارلي ماتلين وبافي سانت ماري.

هاتي ماكدانيال أول ممثلة سوداء تحصل على الأوسكار، لكنه بمذاق مر